وكل ما هو ممتنع الوقوع لا يكون واردا فصح والزامهم ارادة ما لا يقع ظاهر البطلان لان ارادة ما يعلم انه
لا يقع اشتغال بما لا يجدي وهو لا يجوز على الآحاد من العقلاء فلا يمنع صحة الاستدلال والله اعلم

سوال آخر اورد الامام في الاربعين شبه منكري النبوة ومن جملتها
شبهة تختص بمن ينفي الاغراض عن افعال الله تعالى وهو ان قال سلمنا ان فاعل الخارق هو الله تعالى فلم
قلتم انما فعلها لغرض التصديق وقد اقمتم الدلايل على انه يمتنع ان يكون افعاله معللة بشيء من الاغراض والمقاصد
واذا كان كذلك امتنع القول بانه خلقها لاجل التصديق ثم قال في الجواب قلنا فرق بين العلة والمعرفة
ونحن لا ندعي ان خلق المعجز انما كان لغرض التصديق بل نقول خلق المعجز يعرف قيام التصديق بذات الله
كما ان هذه الكلمات المخصوصة صدرت دالة بحسب الاصطلاح والوضع على المعنى القائمة بذات المتكلم فكذلك
هذه الافعال الخارقة للعادة اذا حصلت عقيب الدعوى صدرت دالة على قيام التصديق بذات من فعل المعجز
واعترض على الجواب بان التصديق اذا كان غير مقصود كيف يكون معرفا وما الدليل عليه وتمثيله
بالكلمات المخصوصة فيه نظر وهو انها لا تدل على المعاني بالوضع فحسب بل لا بد من قصد المتكلم والا فلا
يدل اصلا كما قرر هو وغيره في غير موضع واقول في تقرير كلام الامام التصديق لا يجوز ان يكون غرضا
من خلق الخوارق لان المصدق له اما ان يكون المرسل اليه او المرسل ولا سبيل الى شيء منهما لان افعاله لا تعلل
بغرض منه ولا من غيره لئلا يلزم الاستكمال لكن الرسول يدعي على وسيلة الارسال ولا بد للدعوى من حجة وهي اما
الشهادة من خارج والخارج هو المرسل اليه وهو منكر واما تصديق من جانب المدعى عليه اما بقول يدل على قيامه به
كالالفاظ الدالة على قيام معانيها بذات المتكلم ولا سبيل اليه للدور والتسلسل واما بفعل يدل عليه كالذي نحن فيه
وكان خلق الخوارق دليلا على قيام التصديق به فتبين ان التصديق غير مقصود من خلق الخوارق لقيامه
بالمرسل وانما المقصود من خلقها دلالتها على قيام التصديق بالمرسل فليس مقصودا لما وانما هو مقصود انا
وكان الاصل ان يكون الدليل على قيامه بالمرسل الفاظا لكونها اظهر في الدلالة لكنه ترك لما ذكرنا ومن هذا
نعلم ان وجه التشبيه بين خلق الخوارق وبين الالفاظ الدالة على قيام معانيها بذات المتكلم ليس الا الدلالة على قيام
معنى بمن قام به وكون دلالة اللفظ تحتاج الى قصد المتكلم او لا ليس بمنظور اليه ولئن كان فقد ذكرنا انه مقصود

انا واما الدليل على ان خلق الخوارق دليل فخلقها على يد الرسول فانه انما اختار مع امكان غيره دلالة
على انه في دعواه مصدق واما على طريقة الحكماء فخلق الخوارق دليل على تميز فرد من افراد النوع لصلاحه لكونه
شارعا بشرعه يحفظ نظام الكون عن الاختلال وذلك ان الانسان مدني بالطبع يحتاج في تمام تشخصه ونوعه
الى امور عملية صناعية او غيرها ليس يقدر الشخص على تحصيلها او بعض منها طول عمره فيحتاج الى معاضدة
ومعاوضة وقد يمنع المغالبة عن حصول ذلك فلا بد من شارع عام يشرعه شارع يرضى به غيره دفعا
للتنازع المفضي الى الاختلال المهروب عنه وذلك بالاتيان بالخارق فكان خلقها دليلا على تميزه فيما
بين آحاد النوع لذلك واعلم ان نهاية طريقة المتكلمين ان خلق الخوارق يدل على صدق الرسول في
دعوى الرسالة واما ان المرسل مفترض الطاعة واذا ارسله بالايمان والشرائع فليس لهم دلالة على ذلك
اصلا ومع عدم قبح الكذب لا يثبت اصلا وقبحه لا يثبت سمعا للدور والتسلسل والعقل معزول عندهم
فاين ابو الحسن الاشعري من اثبات نبيه ثم اثبات ايمانه المبني على ذلك تمت في صفر من شهور سنة ثمانين وسبعمائة
والحمد لله حمدا كثيرا وصلوات الله على محمد المبعوث بشيرا ونذيرا بالقاهرة المحروسة

رسالة في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم الآية

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين
اما بعد فقد سالتني اسعدك الله سعادة الاولياء عن الكلام على قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا الآية فاعلم ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لم يكن لهم خبرة بالاحوال
ولا استنباط للامور اذا بلغهم الخبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف
وخلل مما من الكفار او من المنافقين او من الرسول صلى الله عليه وسلم اذاعوا به وكان في ذلك
مفسدة فنزل قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم والمراد باولي الامر كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون

منهم ومعنى لعلمه لعلم تدبيره مجاز بالحذف وقوله يستنبطونه اي الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهذا على تقدير ان يكون ما بلغهم من جهة الكفار وان كان من جهة المنافقين
فهو انهم كانوا يسمعون من افواه المنافقين من جهة السرايا شيئا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيكون
وبالا على المسلمين ولو ردوا الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما
يذاع او لا لعلمه اي لعلم صحته وهل يذاع او لا هولاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي
الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم وان كان من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو انهم
كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه
فينتشر فيبلغ الاعداء وكانت الاذاعة مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر ويفوضوا اليهم
وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه ثم اعقب
بقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا واختلفوا في تفسير الفضل ففسره بعضهم
بما يفهم منه عرفا وهو نعم غير مستحق بغير تعظيم ولزم من ذلك ان لا يكون عدم اتباع القليل للشيطان بفضل الله
وهو محال ثم اختلفوا فيما يدفع ذلك فمنهم من حمل القليل على الصبيان والمجانين وهو بعيد لان
قوله ولولا فضل الله عليكم امتنان على العقلاء وتوبيخ للضعفة المذيعين الذين لم يميزوا بين ما ينفعهم وما
يضرهم بالاذاعة او بين ما يذاع وما لا يذاع والصبيان والمجانين ليسوا في ذلك الحيز ومنهم من
حمله على من مات زمان الفترة وهو ضعيف من وجهين احدهما ان من مات قبل الاسلام لم يدخل في قوله
ولولا فضل الله عليكم ولا في قوله لاتبعتم والثاني ان من مات منهم مات موحدا فلم يتبع الشيطان بفضل الله
وان مات كافرا فقد اتبع الشيطان لان الايمان واجب عليه عقلا ومن ترك ما وجب عليه فقد اتبع الشيطان
فلم يكن على كلا التقديرين مستثنى لان المستثنى قليل لم يتبع الشيطان بدون فضل الله والموحد لم يتبعه بفضل الله
والكافر اتبعه وهذا على قول ابي حنيفة رحمه الله فانه يوجب الايمان عقلا فانه روي عنه انه قال لو لم
يبعث رسول لوجب على الخلق معرفته الله بعقولهم وعليه علم الهدى ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو قول كثير
من مشايخ العراق ويرد عليه ان فائدة الوجوب العقلي ان كان الثواب بالجنة بفعل الواجب والعقاب بالنار

بتركه فالعقل لا يهتدي الى ذلك وهو الذي توهم منه الشيخ نور الدين الصابوني رحمه الله وقال ليس تفسير وجوب الايمان
بالعقل ان يستحق الثواب بفعله او العقاب بتركه اذ هما لا يعرفان الا بالسمع وان كانت غير ذلك فليس كل مجهود
في الدار الآخرة والجواب ان فائدته ذلك لان الدار الآخرة يشتمل على الجنة والنار والاعراف ومآل اهل
الاعراف الجنة لا محالة والجنة والنار مخلوقان بتسليم الخصم فالذي يؤمن بالعقل لا يكون خارجا عن الجنة يوم القيمة
وان لم يكن عالما بها في الدنيا لان عدم العلم بالشيء لا يستلزم عدمه في نفسه ويجوز ان يجاب عنه ايضا بان
الثواب والعقاب عقليان اذا وتعاجز في دعواه عليه السلام الثابتين بالمعجزة فليتامل في هذا فانه غريب لم
يسبق اليه والحق ما قاله ابو حنيفة رحمه الله لان العقل هو الدليل المعتبر في الاصول لان دلالة النقل موقوفة على صدقه
وصدقه لا يثبت بنقل مثله لان الكلام فيه كهو في الاول ومآله الدور او التسلسل بل انما ثبت بدلالة المعجزة وهي عقلية
فاعتباره في ثبوت النبوة التي هي اصل النقل وعدم اعتباره في وجوب الايمان تحكم صرف بل هو اعمال له في
اثبات الاصل الذي هو الاقوى واهمال له في الفرع الذي هو الاضعف وذلك نقض الاصول وعكس المعقول
ومنهم من جعل الاستثناء من قوله اذاعوا به لان المذيعين لم يكونوا جميع من جاءهم امر من الامن او الخوف
بل قليل منهم ما اذاعوا وفيه بعد للفصل الكثير بالاجنبي بين المستثنى والمستثنى منه ومنهم من جعله
من قوله يستنبطونه اي لعلمه المستنبطون الا قليلا منهم فانهم لا يعلمونه ورد بلزوم الفصل المذكور وبان القليل
من المستنبطين يعلمون لا الكثير فان الاستنباط يحتاج الى فكر وروية وذلك انما يتحقق من القليل واجيب
بان المراد من الاستنباط ليس الذي يحتاج فيه الى فكر وروية فلا يختص العلم بالقليل وليس للفصل المذكور جواب
ومنهم من جعله من المصدر اي الا اتباعا قليلا وفسر آخرون الفضل والرحمة بارسال الرسول وانزال الكتاب
واتباع الشيطان بالبقاء على الكفر وهو مختار الزمخشري وهو المناسب لما في الآية من التوبيخ للمذيعين ويكون
المعنى لولا ان الله بعثني اليكم وانزل علي القرآن بين اظهركم لاتبعتم الشيطان في امور دنياكم ودينكم لان من لم يهتد
الى امور ظاهرة ولم يميز بين ما ينفعه ويضره وما يذاع وما لا يذاع فلان لا يهتدي الى امر باطن كالايمان بالغيب
اولى وقوله الا قليلا استثناء من اتبعتم والمراد من استدل بعقله وآمن بالله ويرد عليه ان فضل الله اعم من ارسال
الرسول وانزال الكتاب وذكر الاعم وارادة الاخص لا يصح لا مجازا ولا كناية لعدم دلالته عليه بوجه من وجوه الدلالة

واقول وانا اعلم المراد بفضل الله رحمته فان رحمته عطف تفسيري له والمراد بالرحمة هو النبي عليه السلام
وهي الرحمة المذكورة في سورة الانبياء في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بطريق رجل عدل وسورة النساء
مدنية والنكرة اذا اعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى فان القرآن المجيد كله ككلام واحد وبهذا
يصح الاستثناء ويندفع الشبهة والله الموفق للصواب تمت بعون الله تعالى وحسن توفيقه

وهذه رسالة في تفسير قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فان بعض الفضلاء الذين لهم فضل اطلاع على قواعد
العلوم وهم اهل تمييز تام في مراتب اللفظ والمفهوم قد نظروا في كلام الناس على قوله تعالى ان تتوبا
الى الله فقد صغت قلوبكما وعرض بعض ذلك علي فخطر لي ان ابرز ما ظهر لي من الكلام هنالك فكتبت
ما سمحت به القريحة متكلا على الله في الكلاءة عن الزلل في هذه الصحيفة فانه حسبي ونعم الوكيل قوله
تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما الخطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما بطريق الالتفات
تصريحا بما يجب عليهما من الرجوع عما اقدمتا عليه مما كان يسوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزاء الشرط
محذوف وتقديره والله اعلم ان تتوبا الى الله فقد خلصتما عما يوجب العتب لان الشرط سبب للجزاء
وليست توبتهما سببا لميل قلوبهما لا يقال فليكن من باب قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فان
تقديره وما بكم من نعمة فهو سبب لان يقال هو من الله لتعذر ان تكون توبتهما سببا لان يقال فقد صغت
قلوبكما لان صغو القلب الى التوبة وهو محمود وفي الآية سيق للذم فيكون فقد صغت قلوبكما بيانا ان ما
تابتا عنه كان مما يوجب العتب وانما قيل قلوبكما وان كان لهما قلبان لان القلب لكثرة جهاته الخمس
بمنزلة المتعدد والمعنى على التثنية ولا يقتضي تعدد قلب كل منهما لان مقابلة المتعدد بالمتعدد يقتضي انقسام
الآحاد على الآحاد على ما عرف في الاصول فان قيل صحة هذه الشرطية بوجود المقدم او بانتفاء التالي قلنا

بوجود المقدم حملا لحال المخاطب على الصلاح فان قيل الآية نظام ظاهرها تقتضي المؤاخذة باعمال القلب فان صغوه
جعل علة لوجوب العتب وما لا يؤاخذ به لا يكون كذلك قلنا الامر كذلك ولمن ذهب الى المؤاخذة بها ان يستدل
بها على ذلك ولكنه مدفوع بان المراد بصغو القلب ملزومه وهو ما وجد منهما في الخارج فكان كناية عنه فالمؤاخذة
بما في الخارج لا بعمل القلب سلمناه لكنه معارض بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها واذا قامت المعارضة
بين الآيتين صرنا الى الحديث وهو ما روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
تجاوز عن امتي ما حدثت به نفسها ما لم يتكلم به او يعمل به وقد قررنا تمامه في الاشراق وقوله تعالى وان تظاهرا
عليه عطف على قوله تعالى ان تتوبا اليه ومعناه ان تعاونا عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوؤه من افشاء سره قال
صاحب الكشاف والافراط في الغيرة وفيه نظر وجزاء الشرط فيه ايضا محذوف وهو لن يعدم ظهيرا وقوله تعالى
فان الله هو مولاه بيان الملازمة وهو ظاهر فان من كان الله ناصره البتة لن يعدم ظهيرا واليه اشار صاحب الكشاف
والاظهر انه من باب قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اي وان تعاونا فان ذلك سبب لان يقال ان الله هو مولاه رفعا
للتعاون عن التعاون لان قوله لن يعدم ظهيرا ليس مسببا عن تظاهرهما بل القول به مسبب وليس الضمير للفصل
لانه انما يتوسط بين مبتدإ وخبر معرفتين او ما يضاهيهما بان يكون افعل من كذا كقولك زيد هو افضل من عمرو او
فعلا مضارعا مثل زيد هو يذهب وليس ما نحن فيه من ذلك لا يقال مشابهة افعل من كذا بالمعرفة انما هي من حيث
امتناع دخول لام التعريف عليه امتناعها على المعرفة وما نحن فيه لتعرفه بالاضافة كذلك لان ذلك وان كان المشهور لكنه
منقوض بمثل زيد هو غلام رجل فانه لا يجوز بالاتفاق مع قيام تلك العلة فيه وانما المشابهة بينهما باعتبار
ان الافعل من كذا اشبه قويا بالمعرفة من حيث المعنى حتى ان معنى افضل من كذا الافضل باعتبار افضلية معهودة
وليست هذه المشابهة في زيد هو غلام رجل موجودة فان قيل لو كان كذلك لم يقع صفة للنكرة كالمعرفة
لكن يجوز رأيت رجلا افضل منك ولا يجوز رأيت رجلا الافضل فالجواب ان المشابهة بين الشيئين لا يلزم
ان تكون من جميع الوجوه فاذا قيل زيد افضل من عمرو ويكون بمعنى الافضل باعتبار افضلية معهودة واذا قيل رأيت
رجلا افضل من كذا لا يكون كذلك لانتفاء العهد فان قيل فعلى هذا وجب ان لا يجوز زيد هو يذهب لعدم تلك
المشابهة قلنا ليست العلة في الفعل تلك المشابهة بل المشابهة فيه من حيث امتناع دخول لام التعريف عليه